Diyala Journal
for Human Research
Website:
djhr.uodiyala.edu.iq

مجلة ديالى
للبحوث الإنسانية

p ISSN: ٢٦٦٣-٧٤٠٥
e ISSN: ٢٧٨٩-٦٨٣٨

العدد (٩٨) المجلد (١) كانون الأول ٢٠٢٣

مجلة ديالى للبحوث الانسانية

سؤال السلطة السياسيّة في الدراسات الثّقافيّة في النّقد الروائيّ العراقيّ من ٢٠٠٣- ٢٠٢١م

أ.د عبد العظيم رهيف السلطاني م.م أسماء محمد كاظم

جامعة بابل كلية التربية للعلوم الإنسانية | وزارة التربية / المديرية العامة لتربية بابل

Email:*azharkaream@gmail.com*
enassjihad@gmail.com
Ahmadm361@gmail.com

Published:*1-12-2023*

Keywords: السؤال، السلطة، الخطاب الروائي، الخطاب النّقديّ.

هذه مقالة وصول مفتوح بموجب ترخيص
CC BY 4.0
(http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

Abstract

Abstract
Power is an important and essential concept in cultural discourse. There have been numerous discussions and visions around defining its conceptual boundaries and representations, which differ according to their cognitive, social and political system. Some are philosophical, others are political, and the third are culturally critical.
since power in its general sense plays a dual role in shaping the narrative and critical discourse alike, we decided to stop at it in this chapter to reveal its dimensions. On the part of the narrative discourse, we find its clear influence on the creator as a member of society, whether he identifies with authority or rebels against it, it penetrates into the depth of his thinking and the formation of his philosophy, and on the other hand, it imposes its dominance on the consciousness of the recipient, and the formation of his thought as a member of society as well.
As for the role of the authority in shaping the critical discourse, it also has a double effect on the critic and the recipient of the critical discourse, as they are subject to its hegemony in cases of identification or rebellion. Therefore, the question of authority will be about how it appears, and not about what it is; Because power is a phenomenon that is not hidden, and it is linked to the human self by authoritarian relations

الملخص

السلطةُ مفهومٌ جوهريّ في الخطاب الثقافيّ، دارت حول ترسيم حدوده المفاهيميّة وتمثّلاته نقاشات ورؤى متعدّدة تختلف باختلاف منظومتها المعرفيّة والاجتماعيّة والسياسيّة، بعضها فلسفيّ، والآخر سياسيّ، والثالث نقديّ ثقافيّ.

ولمّا كانت السلطة بمعناها العام تمارسُ دورًا مزدوجًا في تشكيل الخطاب الروائيّ والنّقديّ على السواء، فإنّنا ارتأينا الوقوف عنده في هذا الفصل للكشف عن أبعاده. فمن جانب الخطاب الروائيّ نجدُ تأثيرها واضحًا على المبدع بوصفه عضوًا في المجتمع، فسواء أكان متماهيًا مع السلطة أم متمرّدًا عليها فإنّها تتغلغل في عمق تفكيره، وتشكيل فلسفته، ومن جانبٍ آخر فإنّها تفرض هيمنتها على وعي المتلقّي، وتشكيل فكره بوصفه عضوًا في المجتمع أيضًا.

أمّا دور السلطة في تشكيل الخطاب النّقديّ فإنّه تأثيرٌ مزدوجٌ أيضًا على الناقد والمتلقّي للخطاب النّقديّ بوصفهما خاضعين لهيمنتها في حالتي التماهي أو التمرّد؛ ولهذا فإنّ سؤال السلطة سيكون عن كيفيّة ظهورها وليس عن ماهيتها؛ لأنّ السلطة ظاهرة غير خبيئة، وتربطها بالذات الإنسانيّة علاقات سلطويّة(١).

المقدمة :

عرّف (جان مينو) السلطة بقوله: "هي ممارسة نشاط ما على سلوك النّاس، أي القدرة على التأثير في ذلك السلوك وتوجيهه نحو الأهداف والغايات التي يحدّدها من له القدرة على فرض ارادته"(١)، ويرى (موريس دوفرجيه)* أنّ للسلطة معنيين: أوّلهما معنويّ، والآخر ماديّ. فالسلطة بمعناها المعنويّ تعني القوّة والقدرة على السيطرة التي تمارس من الحاكم أو مجموعة من الحكّام على المحكومين والتي تتمثّل في إصدار القواعد القانونيّة الملزمة للأفراد في إمكانيّة فرض هذه القواعد على الأفراد باستعمال القوّة الماديّة، أما السلطة بمعناها المادي، فتعني الأجهزة التي تقوم بممارسة السلطة بمعناها المعنويّ والتي يطلق عليها اصطلاحًا الأجهزة التنفيذيّة(٢).

وينبغي أن نميّز بين مفهوم (السلطة) و (التسلّط)؛ لأنّ السلطة في المفهوم الفلسفيّ والأخلاقيّ ضرورة اجتماعيّة لتنظيم أمور المجتمع، وضرورة أخلاقيّة لتحقيق العدالة بين الأفراد، ومشروعها يحتاج إلى القوة التنفيذيّة، فيما يعطي مفهوم التسلّط معاني الظلم والقهر والإرهاب والإكراه والتردّد والعنف(٣)، وهذا القول يقود إلى التمييز بين شرعيّة السلطة التي هي حق اجتماعيّ سياسيّ يشكّله التنظيم الاجتماعيّ، وكون السلطة واقعًا سياسيًّا هدفه التسلّط بلا شرعيّة(٤). وتهدف السلطة الشرعيّة إلى إشاعة التوازن وتنظيم علاقات العناصر المكوّنة للجماعة في إطار الفلسفة السائدة(٥)، ومعيار تحديد صلاحيّة السلطة أو فسادها، وشرعيتها أو لا شرعيتها يكمن في الكيفيّة التي تمارس بها، والطرائق التي تتّبعها، والوسائل التي تعتمدها في إدارة عمليّة الحكم(٦)، واستنادًا على رأي (جون كينيث جالبريث)* القائل بوجود ثلاث كيفيات أساسيّة تستند عليها السلطة في تنفيذ قوانينها وقراراتها وأوامرها، وكلّ كيفيّة تؤدّي نتائج وغايات تختلف عن

الأخرى، وهذه الكيفيات أجملها بالآتي: ١-الكيفيّة القسريّة التي تقوم على العنف والقوّة والتهديد بالسجن أو التعذيب أو التصفيّة الجسديّة، ولهذا تُعد القوّة أداتها الأساسيّة. ٢- الكيفيّة التعويضيّة التي تقوم على تقديم المكافآت الماديّة وغايتها من ذلك إخضاع الفرد، وكسب ولائه وإخلاصه مقابل ما يتمتّع به من هدايا وعطايا وإغراءات ماديّة تمكّن السلطة من تحقيق خضوع الفرد وإذعانه لممارساتها، وحفظ أسرارها، وغض البصر عن خطاياها ٣-الكيفيّة التلاؤميّة التي تقوم على آليات الحوار الموضوعي، والإقناع المنطقي؛ لكسب ود الفرد واستجابته لسياسات السلطة بمحض إرادته من دون إكراه أو اغتصاب(٧) فإنّنا سوف نتابع تلك الكيفيّات ومعرفة أيّهما الأكثر تداولًا وانتشارًا في الواقع السياسيّ العراقيّ بعد عام ٢٠٠٣م.

وبالرغم من وجود أشكال متعدّدة للسلطة في الخطاب النّقديّ الثقافيّ، التي تختلف آلياتها باختلاف ممارسيها، فإنّ دراستنا هنا سنقصرها على تتبّع أثر السلطة السياسيّة من دون أشكال السلطة الأخرى؛ وذلك لأنّنا تطرقّنا إلى أثر السلطة الاجتماعيّة في الفصل الذي خصصناه لسؤال النسويّة، وناقشنا فيه مسوّغات قوّة السلطة الاجتماعيّة في بعض المواقف، وانحسارها في مواقف أخرى. أمّا السلطة الدينيّة فوقفنا عندها في فصل سؤال الهُويّة، وعرضنا فيه الدور الكبير الذي تمارسه سلطة الدين على حياة الأفراد واستقرارهم عندما تقف مع الحراك السياسيّ أو ضدّه.

السلطة السياسيّة

المراد بالسلطة السياسيّة تلك التي تدير المجتمع المدنيّ بأكمله، وتدبّر تنظيم العلاقات بين الجماعات بشكلٍ يكفل بقاءها مندمجة بالمجموع، ويوفّر لها الإرادة اللازمة لمواجهة التحوّلات الخارجيّة والداخليّة(٨)، إذ تعبّر عن وجود فئة حاكمة في المجتمع تتولّى ممارسة السلطة، وبطبيعة الأمر وجود فئة محكومة تلتزم بالولاء والطاعة، وتعد أحد الأركان الأساسيّة للدولة إذ تتولّى حكم الشعب وترعى شؤونه وإدارته وحمايته عبر تنظيم استغلال ثرواته لحفظ الأمن والنظام(٩).

تختلف السلطة السياسيّة وطبيعتها من مجتمع لآخر من حيث العناصر الماديّة أو المعنويّة المكوّنة لها، لذا صار من الضروريّ العناية بظاهرة السلطة السياسيّة وفهمها والتعرّف على طبيعة تنظيمها داخل النظام السياسيّ ومحاولة فهم مكوّناته التي تميّزها عن باقي الظواهر السياسيّة، حتى يستطيع كلّ من يريد النظر إليها التفريق بسهولة بينها وبين المفاهيم الأخرى.

ثمة دراسات ثقافيّة في الخطاب الروائيّ العراقيّ جعلت نصب عنايتها تفكيك المرجعيات الثقافيّة المنتِجة للنصِّ الإبداعيّ، بغيّة الوقوف على شيوع السلطة السياسيّة، وأشكال تجليّاتها، وأثرها في الواقع العراقيّ في النصوص الإبداعيّة، ومن بين تلك الدراسات كتاب (الخطاب الروائيّ النسويّ العراقي) للباحث محمد رضا الأوسي. قدّم الباحث فرشة نظريّة انشغلت بالحديث عن مفهوم النسويّة، وتمييزه عن المفاهيم الأخرى كالنسويّ والنسائيّ باستعراض آراء النقّاد والباحثين في هذا السياق، ثم استقرّ على تبنّي مفهوم النسويّ في دراسته للدلالة على الأدب الصادر من ذات أنثويّة. أمّا مسوّغ تحديد عيّنات الدراسة التي تراوحت بين العام ١٩٧٣ وهو تاريخ صدور أوّل رواية انسجمت مع مُحدّدات العنوان، وانتهاء بـ ٢٠٠٧ تاريخ تسجيل الموضوع، وذلك **"المقاربة**

موضـــوعها عبر التســـاؤل عما إذا كان الخطاب الروائي النســـوي العراقي قد اســـتثمر هذه الموجهات الثقافية واستند إليها في تقويض الصور التي أنتجتها الثقافة الذكورية للمرأة؟ وعما إذا نجح في إعادة تشـــكيل الذات والعالم على نحو مغاير للتشـــكيل النمطي الذي درج المخيال الذكوري على إنتاجه لهما"(١٠)، هذا فضـلًا عن سعيه للكشف عن **"الاستراتيجية التي تبناها في التحرر من تبعيته لتلك الثقافة"**(١١). أمّا سبب اتكائه على النّقد الثقافيّ للكشف عن الأنساق الثقافيّة المتغلغلة في عمق الخطاب النسـويّ العراقيّ بوصـفه **"نشـاطا فكريا ينقد الثقافة ويحلل النشـاط المؤســســـي بالاعتماد على مناهج مســـتقاة من اتجاهات ما بعد الحداثة ولا ســـيما التفكيك والتأويل"**(١٢).

وبالعودة إلى خطة الباحث نجده قسّـم كتابه على ثلاثة فصـول، تناول في الفصـل الأوّل تمثيل الهُويّة، وفي الفصل الثاني تمثيل الجسد، وفي الفصل الثالث تمثيل السلطة. في الفصل الأخير – كما في فصـليه السـابقين- بدأه بمدخل بيّن فيه مفهوم السـلطة واختلافها عن مفهوم التسـلّط، لينتقل بعد ذلك للحديث عن السلطتين الاجتماعيّة والسياسيّة كما صوّرتها النصوص الروائيّة المنتخبة في دراسته.

في سياق رصد السلطة السياسيّة وقف الباحث على أربع روايات، هي (ما بعد الحب لـــ هدية حسين، وحبل السرة لـــ سميرة المانع، وعندما تستيقظ الرائحة لـــ دنى غالي، وفي الطريق إليهم لـ هدية حسين)، وهذه الروايات اشتركن جميعها في رصد آليات السلطة الموصوفة بالتعسّفيّة، وهي حقبة حكم صدام.

فرواية (ما بعد الحب) كشـفت عن سـياسـات النظام الحاكم، وجرائمه البشـعة، وأسـاليبه في تحجيم معارضـيه، وطريقته في إدارة شـؤون البلد والمجتمع، إذ يرى الباحث الأوسـي أنّه كرّس **"سياسة (فرق تسد) الأمر الذي حمله على تصفية كل من يخرق هذه التابوات، بأساليبه الأكثر قمعا ووحشية؛ لأن جلاديه لم يكتفوا بمصادرة حياة السجناء السياسيين فحسب، وإنما تعمدوا تشـــويه ملامحهم وتقطيعهم، وألزموا حراس الســـجن بـإهـانـة ذويهم المنتظرين في البـاب [بوصـفهم] ذوي "خونة"**(١٣). هذا فضـلًا عن سـياسـة تكميم الأفواه، وإعدام كلّ من يقف بوجه السلطة، وغيرها من الأساليب المعلن عنها صراحة في النصّ الروائيّ، فجاءت دراسة الباحث لها مقتصرة على رصدها وشرحها من دون تحليلها أو تأويلها، وسبر أغوارها للوقوف على المسكوت عنه وهو ما يفرضـــه عليه النّقد الثقافيّ الذي ألزم نفســـه به في مقدّمته النظريّة. من جانب آخر لم تكن هذه الرواية الصـادرة في عام ٢٠٠٣م هي أوّل رواية تناولت موضـوع السـلطة السـياسـيّة، فهناك روايات كثيرة تناولت الموضـوع تسـبق روايته المنتقاة وتدخل ضـمن حقبة دراسـته، ومنها رواية (المخاض) لغائب طعمة فرمان الصـادرة عام ١٩٧٤م التي تناولت الواقع العراقيّ السياسيّ بعد عام ١٩٥٨م ورواية الرجع البعيد لفؤاد التكرلي الصـادرة عام ١٩٨٠م التي رصـدت مرحلة مهمّة من تاريخ العراق السـياسـيّ والاجتماعيّ الذي تميّز بشـيوع ثقافة العنف، وكذلك رواية (الحرب في حي الطرب لنجم والي عام ١٩٩٣م، وامرأة القارورة لسـليم مطر ١٩٩١م، وغيرها من الروايات. أمّا بشأن النصوص الروائيّة الصادرة من ذات أنثويّة فنجد رواية (حبل السرة) التي

شغلت المرتبة الثانية من دراسته، التي صدرت في عام ١٩٩٠م، ورواية (كم بدت السماء قريبة) لبتول الخضيري عام ١٩٩٩م، التي أدانت السلطة السياسيّة ذات الصبغة التعسّفيّة القسريّة، وبرّزت أساليبها القمعيّة وأثرها في تخريب المنظومة الأخلاقيّة والثقافيّة للمجتمع العراقيّ، وفي هذا السياق يقول الباحث: **"واستهلت برصد الأساليب القمعية للسلطة القسرية في إدارة عملية الحكم، وكيفية تعاطيها مع رعاياها في الداخل والخارج، وتعويلها الدائم على العنف "طقة طقة" في فرض إرادتها وبسط سيطرتها، ومواجهة خصومها ومعارضيها بمن في ذلك المقيمين في الخارج هربا من بطشها وسطوتها"**(١٤).

هذا الانتقاء العشوائيّ للروايات وجدناه قد انسحب على روايتي (عندما تستيقظ الرائحة الصادرة في عام ٢٠٠٦م، وفي الطريق إليهم عام ٢٠٠٤م)، إذ وظّفت الأخيرة معظم الأساليب التي مارسها الحاكم فكانت دليلًا على **"إدانة النظام الحاكم وفضح نموذجه القمعي، عبر تشكيل فضاء سردي كانت معظم شخصياته من ضحايا سياساته في عقود متوالية"**(١٥).

اقتصر جهد الباحث في كتابه آنف الذكر، على رصد الأساليب، والآليات التي اتّبعها صدام حسين طيلة مدّة حكمه للعراق، ومثّلتها المنجزات الروائيّة، فكانت مجموع الروايات التي وقف عندها أربع روايات نسائيّة، وثّقت حقبة تاريخيّة مهمّة من تاريخ العراق، فجاء جهد الباحث مقصورًا على تتبّعها، من دون الكشف عن أبعاد شيوعها، أو العمل على إبراز مسوّغات انشغال الإبداع الروائيّ بها، ولا شكّ في أنّ عدم توظيف إجراءات النّقد الثقافيّ يُعد خروجًا منهجيًا وقع الباحث به.

والملاحظ على تلك الروايات أنّها كانت منتقاة وفقًا لاشتراكها في ثيمة واحدة، وهي ثيمة رصد آليات السلطة السياسيّة في حقبة نظام الحكم في العهد الصدامي.

ولم تبتعد دراسة الباحث الأكاديميّ أحمد رشيد الددة عن هدفها الرئيس في رصد أثر السلطة في الإبداع الروائيّ، في كتابه الموسوم بـ (السلطة في الرواية العراقيّة).

قسّم الباحث كتابه على بابين، وفي كلّ بابٍ ثلاثة فصول. تناول في الباب الأوّل أثر الواقع السياسيّ في بناء الشخصيّات الروائيّة، فرصد ثلاثة أشكال من الشخصيّات، تراوحت بين المهزومة، والمنتمية، والمتمرّدة، وكلّ شخصيّة درسها في فصل مستقل بها. في حين انشغل الباب الثاني الموسوم بـ (الذكورة والأنوثة السلطة وتبادل الأدوار) بدراسة أنواع السلطة الاجتماعيّة المتمثّلة بالسلطة الأبويّة، والذكوريّة، والأنوثة، وأيضًا وزّعها على فصول.

وبالعودة إلى الفصل الأوّل من الباب الأوّل الذي جعله من نصيب الشخصيّة المهزومة، نجده قام برصدها في ثلاث عشرة رواية هي: (النخلة والجيران، والمخاض، وظلال على النافذة، وآلام السيد معروف، والمرتجى والمؤجل، والمركب لغائب طعمة فرمان، والشاهدة والزنجي، وبيت على نهر دجلة لمهدي عيسى الصقر، والرجع البعيد، واللاسؤال واللاجواب لفؤاد التكرلي، والجسور الزجاجية لبرهان الخطيب، ونافذة بسعة الحلم لعبد الخالق الركابي، والوشم لمجيد

الربيعي). وما نلاحظه على الروايات المنتقاة اتساع المساحة لتشمل أغلب روايات غائب طعمة فرمان، ولكن هل قدّم الباحث تعليلًا لذلك؟ بمعنى هل تلك الروايات رصدت الواقع السياسيّ وأثره على حياة المجتمع العراقيّ في تلك الحقب التي صوّرتها الروايات، مما انعكس على الإبداع الروائي؟ وهل قدّم الباحث خلاصة توضّح قيمة تلك الروايات أم لا؟ هذا ما سنحاول توضيحه ونحن نتابع دراسة الباحث.

أفرد الباحث لروايات فرمان مساحة كبيرة[١٦]؛ ليقف على أبعاد الواقع السياسيّ في خلق شخصيّات مأزومة، ولكنّ الباحث ابتعد كثيرًا عن مقصده، إذ جاءت دراسته مقتصرة على اختيار عيّنات روائيّة قدّمت شخصيات مأزومة من دون الوقوف على مسوّغات أزمتها، وسبب معاناتها التي يُفترض أن يكون الواقع السياسيّ العامل الأكبر في أزمتها، وضياعها، وتحطيم إنسانيّتها. باستثناء بعض الفقرات التي تضمّنت إشارات خاطفة تناولت الواقع السياسيّ، وأيضًا بعض النصوص الروائيّة التي تخدم دراسته، وبإمكان القارئ العودة إلى الصفحات الآتية[١٧]، هذا فضلًا عن غياب الخلاصة التي توضّح سبب ركون الباحث إلى روايات فرمان، وما الذي يميّزها عن روايات غيره من الروائيين.

وبالانتقال إلى الروايات الأخرى نلاحظ الضبابية والاضطراب على المستويين (اختيار العيّنات، والتحليل)، باستثناء بعض الفقرات والنصوص التي يجدها القارئ في الصفحات الآتية[١٨]، مما تعذّر على الباحث تقديم ملخّص في نهاية فصله.

والأمر ذاته وجدناه في الفصلين الثاني والثالث، الذين درس فيهما الشخصيّة المنتمية، والشخصيّة المتمرّدة. فعلى سبيل المثال أدرج الباحث شخصيّة (سعيد)، وهي إحدى شخصيّات رواية (خمسة أصوات) لغائب طعمة فرمان ضمن الشخصيّات المتمرّدة على الواقع السياسيّ، والرافضة له، وفي هذا السياق يقول: **"لقد حاول (سعيد) الانسجام مع واقعه القاسي، والتأقلم معه من خلال محاولته تفهّم وضعية مجتمعه وملامسته عن قرب عبر ممارسته للعمل الصحافي. لكنه يواجه بقطيعة حادة، وغربة قاتمة، يفرضها عليه واقعه السياسي ومجتمعه الذي يأبى أن يتفهم وعيه، وأطروحاته الثقافية؛ فيُقطع عليه الطريق"**[١٩]. وعلى وفق هذا التقديم يبدو أنّ الباحث لم يدرجها ضمن أنواع الشخصيّات التي قسّمها على مدار الباب؛ وذلك لأنّ هذه الشخصيّة تنتمي إلى الشخصيّات المهزومة، التي لم تقوَ على الوقوف بوجه السلطة السياسيّة، وممارساتها القمعيّة، وأساليبها الوحشيّة.

وكذا الحال مع شخصيّة (حميد) في الرواية ذاتها[٢٠]، وشخصيّة (شامل) في رواية (ظلال على النافذة)[٢١]، وشخصيّة ثابت في رواية (المرتجى والمؤجل)[٢٢]، وشخصيّة (مدحت) في رواية (الرجع البعيد)[٢٣]، وشخصيّة عزيز في رواية (القلعة الخامسة)[٢٤].

لم تخلُ دراسة الباحث حبيب النورس من رصد هيمنة السلطة السياسيّة، وأثرها في تشكيل الواقع الاجتماعيّ، وذلك في كتابه (الرواية العراقيّة من منظور النّقد الثقافي). قسّم كتابه على ثلاثة فصول، عالج في الفصل الأوّل أنساقًا وجدها مهيمنة في الروايات العراقيّة الصادرة بعد عام

٢٠٠٧م، كما تناول موضوعة الهُويّة وأسباب ظهور بعضها وانحسار البعض الآخر، فكان هذا من نصيب الفصل الثاني، بينما كان نصيب الفصل الثالث معالجة جملة من الأنساق التي بدأت بالظهور على الساحة الروائيّة.

وما يعنينا هنا في هذا الفصل، الفصل الثالث من دراسة الباحث؛ لأنّه عالج أثر السلطة السياسيّة، وممارساتها الإجراميّة عن طريق تصوير الجسد المنتهك من لدن السلطة. وما قاده إلى عدّ هذا النسق –الجسد المنتهك- نسقًا في طور التشكيل، ولم يكن واضحًا في روايات ما قبل عام ٢٠٠٣م وجود "**الرقابة التي، كانت لا تسمح بتمرير مثل هذا النوع من الكشف المباشر، ولاسيما إذا كان هذا الكشف يفضح انتهاك الجسد، الذي مورس من أجهزة الأمن الحكومية إبان حكم الدكتاتورية السابقة**"[٢٥] هذا يعني أن الواقع السياسيّ في تلك الحقبة فرض هيمنته على مفاصل الحياة جميعها، فكان كلُّ شيء يخضع لرقابة أجهزة الأمن مما انسحب على الإبداع الأدبيّ، إذ لم يكن يُسمح بنشر أي منجز إبداعيّ يتضمّن تلميحًا أو تصريحًا بطبيعة الواقع السياسيّ، وأزمة المجتمع الناتجة من سوء إدارة السلطة السياسيّة.

اختار الباحث اثنتي عشرة رواية لتكون عيّنات دراسته، هي (مقامة الكيروسين لطه حامد الشبيب، وشروكية لشوقي كريم، وخضرقد والعصر الزيتوني لنصيف فلك، وبوهيميا الخراب لصلاح صلاح، والحفيدة الأمريكيّة لإنعام كجه جي، والظلال الطويلة لأمجد توفيق، والنهار الذي يلي البارحة لحسن حافظ، وعين الدود لنصيف فلك، ونصف جسد لأزهار رحيم، وهيت لك إقليماً لوداد الجوراني، والذبابة على الوردة لخضير ميري، ومكنسة الجنة لمرتضى كزار).

ما يُلاحظ على دراسة الباحث أنّه اكتفى باقتباس النصوص الروائيّة التي تُدين السياسة الحاكمة في تلك الحقبة، من دون تحليلها تحليلًا منهجيًا، والوقوف على مسوّغات تجسيدها في المنجز الروائيّ. بمعنى أنّ جهد الباحث قد انصبّ على الوصف فقط من دون التحليل. وبإمكان القارئ العودة إلى الصفحات الآتية ليتأكد من دقّة ملاحظتنا[٢٦].

هناك من الباحثين من درس العلاقة بين المثقّف والسلطة السياسيّة، ومنهم الباحث محمد فاضل المشلب في كتابه الموسوم بـ (الإنتلجينسيا العراقيّة في عالم علي بدر الروائي). في الفصل الأوّل من كتابه المعنون بـ (الإنتلجينسيا والآخر) درس الباحث ثلاث علاقات للمثقّف، هي: المثقّف وعلاقته بالسلطة الدينيّة، والمثقّف وعلاقته بالسلطة السياسيّة، والمثقّف وعلاقته بالمرأة.

وما يعنينا هنا من كتاب الباحث علاقة المثقّف بالسلطة السياسيّة؛ لأن علاقة المثقّف بالسلطة الدينيّة قد وقفنا عندها في الفصل الثاني من دراستنا عند الحديث عن سؤال الهُويّة، وكذا الحال مع المثقّف وعلاقته بالمرأة الذي درسناه في الفصل الأول تحت عنوان سؤال النسويّة.

وفي سياق رصد أبعاد السلطة السياسيّة على المثقّف، وقف الباحث عند روايتين من روايات علي بدر هما: (الجريمة، الفن، وقاموس بغداد، وأساتذة الوهم)، ويرى الباحث أنّ الطقس "**القمعي**

مُورس ضـــدّ المثقّف [بوصـــفه] مركز وعي مناهض، وغير مهادن لِمَا هو كاتم لهامش حريته ومُعادٍ لحقوق أقرانه، والإبداع وأجناسه المتعددة، ودوره في كشف ثغرات السلطة"[٢٧].

فالرواية تحكي قصة طائفة تدعى بالخواجة، أخذت على عاتقها تأليف قاموس يضمن للمجتمع حياة يســودها الســلام والتصـــالح وخالية من القمع والأحقاد، ولكنّ تلك الطائفة تُحارب من لدن الســلطة الســياســيّة؛ لأنّ أعضـــاءها جميعهم من المثقّفين، والمتبحرين بعلوم القرآن والفلك والرياضيات والرسم والموسيقى، وهم أشدّ الفئات خطورة على السلطة الحاكمة؛ بوصفهم حاملين سـلاح العقل والتنوير. وفي هذا السـياق يقول الباحث: **"وعلى الرغم من أنّ قاموس بغداد بشـكله العام لا يقترب من السـلطة والدين بشـكل كبير وخطير، إلا أنّ خطر الطائفة ظلّ قائماً على نسـق سـلطة المجتمع بتقليديته وانغلاقه، وخطراً على أرباب السـياسـة والتجارة، فهي جماعة تأبى الانصياع والخضوع لسيف السلطة"**[٢٨].

أمّا رواية (أساتذة الوهم) فإنّ الباحث وجدها قد انشغلت بالحديث عن جماعتين أدبيّتين: الأولى عُرفت باسم (جماعة الساعة الخامسة)، وتتألف من خمسة شعراء، والثانية عُرفت باسم (جماعة بهيّة)، تجلّت أعمالها بتأليف القصـائد وكتابة الروايات وتوقيعها باسم بهيّة[٢٩]. وفي سياق الحديث عن الجماعة الثانية يرى الباحث أنّ **"محتوى الجماعة الفكري وأســاليبهم الغريبة في الكتابة وتوقيع المنشور باسم الجماعة لا الفرد يدلّ على رفض متتالٍ للسلطة الدكتاتورية ومعارضـتهم إيّاها من خلال منظور الفن لا السياسة"**[٣٠].

كذلك أشـار الباحث إلى أن السـلطة في تعاملها مع المثقّف قد ذهبت **"مذهب القسـوة والعنف والكبت، وحسـب تدرجها التاريخي الذي لا تختلف فيه الممارسـات القمعية سـوى في الأسـاليب والتقنيات، فمن السلطة في العصر العباسي وقمعها للعلماء بغداد ومثقفيها (الطائفة الخواجية)، إلى السـلطة العثمانية وتوظيفها الدين بوصـفه قناعاً مقدسـاً لتمرير قراراتها الصـغرى والكبرى وتعزيزاً لبقائها، إلى السلطة في تأريخ العراق المعاصر وانهيار نسق المثقف الفاعل أو صاحب المشروع الثقافي"**[٣١].

وبناءً على تلك المعطيات، يمكننا القول: بوضـــوح الرؤية عند الباحث وهو يدرس العلاقة بين المثقّف والســلطة الســياســيّة، هذا فضــلًا عن وقوفه الحســن عند النصــوص الروائيّة الداعمة لموضوعه، وتحليلها تحليلًا يستند على منهجيّة سليمة.

ويدخل في هذا السـياق دراسـة الباحث فارس نايف الفايز الموسـومة بـــ (تمثّلات الموت في الرواية العراقيّة)، ووجد أنّ السلطة بممارساتها وأساليبها أدّت إلى تفشّي ظاهرة الموت المجانيّ.

في الفصل الأوّل من كتابه درس ظاهرة انتشار الموت قتلًا إمّا على أيدي السلطات السياسيّة بآلياتها الإجراميّة والتغييب في السـجون، أو بإشـغال الناس بالحروب وزجّهم في سـاحاتها ليُلاقوا الموت وجهًا لوجه، أو بتتبع سياسة أشد خطورة وأكثر فتكًا بالناس ألا وهي شيوع الإرهاب؛ ليبقى

العراق في دائرة الموت والخراب والرعب. كلّ هذه الأساليب رصدها الباحث في مجموعة من الروايات العراقيّة التي صدرت بين العامين (٢٠٠٣- ٢٠١٣م).

في سياق رصد آليات السلطة السياسيّة، وكيفيّة إدارتها للبلد عبر النصوص الروائيّة وقف الباحث على أربع روايات هي: (الطعنة لمحمود سعيد، وتل الرؤوس لسالم حميد، ودروب الفقدان لعبد الله صخي، وبوهيميا الخراب لصلاح صلاح)، كشفت جميعها ممارسات حصلت في حقبة حكم صدام، ووسائله الإجراميّة ضد المعارضين لحكمه وجبروته.

يرى الباحث أنّ الرواية كشفت النقاب عن ممارسات السلطة ضد المثقّفين، واتّباع شتّى الطرق لتحجيم حريّتهم، وإخماد صوتهم، وإرعابهم خوفًا من محاولاتهم لرفض الواقع السياسيّ، فلم يكن أمام السلطة غير تغييبهم في السجون، واغتصابهم، أو قتلهم، وهذا ما جرى لأحد شخصيّات رواية (الطعنة) وهو أستاذ جامعي تمّ اختطافه من دون معرفة مصيره، وفي هذا الصدد يقول الباحث: **"لقد كانت الضحية من النخبة الأكاديمية المثقفة المستقلة هذه النخبة هي التي شكلت مجتمع الرواية، وهم فئة عاشت بطش السلطة وقهرها وملاحقاتها والتجسس عليها، وانتهاك خصوصيتها، لا لشيء سوى أنهم مستقلون، أو لديهم بعض الرؤى المتقاطعة مع السلطة"**[٣٢].

أمّا رواية (تل الرؤوس) فإنّها كشفت عن وسيلة أخرى من وسائل السلطة لقمع المعارضين لها، فيرى الباحث أنّ السلطة في تلك الرواية أسفرت **"عن وجهها البشع، فتجعل الموت مشاعاً، وفرجة تجمع الناس للتجمهر حولها، بمنظر من تشيؤ الذات الإنسانية وصيرورتها هدفاً لمخالب الموت، كذبيحة بين يدي الجزار [...] وهكذا لابد أن يفهم الناس درس السلطة فإما معنا، وإما لا مكان لكم فوق الأرض التي نحكمها"**[٣٣].

مشاهد الموت لم تقف عند حدود السلطة السياسيّة، بل تعدتها إلى الحروب التي فرضها الحاكم الدكتاتوري، فكانت كالرحى تطحن أشلاء الناس من دون كلل ولا توقّف. وقف الباحث عند أربع روايات قدّمت وثائق تدين الحروب، وتجسّد آثارها، وحجم الخراب الذي لحق بأبناء الشعب العراقي، وهذه الروايات هي (المحرقة لقاسم محمد عباس، وأرصفة الجحيم لصالح مطروح السعيدي، والمنطقة الخضراء لشاكر نوري، وخضرقد والعصر الزيتوني لنصيف فلك)[٣٤].

أمّا مشاهد الإرهاب فإنّ الباحث وجد في الرواية العراقيّة حرصًا على **"ملاحقة هذه الظاهرة حين تفشت في وسطنا، فتابعتها بالوصف، والتحليل، وتسجيل أدق تفاصيلها، وعرضت ما يعانيه مجتمعنا المبتلى من ويلاتها، وسعت كذلك إلى تفسير أسبابها، ومعرفة الجهات التي تدير هذه الأعمال المتطرفة، ودعم العصابات المجرمة في ما تقترفه من قتل وتدمير وتفجير وتشويه"**[٣٥]. فكانت عيّنات الباحث روايتين هما (قيامة بغداد لعالية طالب، وعجائب بغداد لوارد بدر السالم).

جاءت رواية (قيامة بغداد) متضمّنة دلالات تكشف عن ظاهرة تهجير السنّة والشيعة على السواء، لا سيما بعد اشتداد حدّة الصراع الطائفيّ بعد عام ٢٠٠٣م، فيقول الباحث: "**فبهذه الصراحة وبهذا التجاوز للمسكوت عنه، رفعت الرواية الغطاء عن الجراح الفاغرة، وأعلنت عن محنة العقل والروح والفكر والوطن، وضجت بمصائب الأبرياء الضائعين، وسط مخططات الذين جعلوا من إراقة الدماء وسيلة للمناصب ولتحقيق الثراء**"[٣٦].

أمّا رواية (عجائب بغداد) فإنّ الباحث يرى أنّ نقطة شروع السرد بدأت "**مع حادث تفجير ضريح الإمامين العسكريين في سامراء، وتحديداً مع مقتل الصحفية أطوار بهجت في ٢٢/ ٢/ ٢٠٠٦ فيباشر السارد من هذه النقطة في تغطية الاحتراب الطائفي وتحت ظروف تعد من أكثر الأزمنة خطورة**"[٣٧].

وعلى وفق ما أوردناه آنفًا يمكننا القول: إنّ الباحثَ قد رصد واقع المجتمع العراقيّ في ظلِّ الحكم الدكتاتوري، وما خلّفه من مظاهر ساهمت جميعها في تشويه الحياة، وانعدامها، فضلًا عن تفشي الموت في كلِّ مكان وزمان. فجاءت دراسته مهمّة في سياقها، وإجادته في تقديم صورة الحياة التي صوّرتها الروايات العراقيّة المتحرّرة من التعبويّة والأيديولوجيا التي تمجّد ذلك النظام.

مظاهر العنف تلك، وانتشار الموت المجاني في كلِّ مكان، وقف عندها الباحث الأكاديميّ باسم صالح في كتابه الموسوم بـ (رواية العنف دراسة سوسيونصيّة في الرواية العراقيّة ما بعد ٢٠٠٣)، فقد رصد فيه الواقع السياسيّ والاجتماعيّ في عراق ما بعد ٢٠٠٣م.

اقتصرت دراسة الباحث على ثلاث روايات قدّمت صورة واضحة لمشاهد العنف، وانتشار الموت؛ نتيجة انفلات الأمن، وضعف سلطة الدولة، وانهيار منظومة القيم والمبادئ، فقد ربط الباحث بين سياق الواقع، والإبداع الروائيّ، فكان شيوع القتل واشتعال الحرب الأهليّة مُعطيات حتميّة تؤدّي لولادة نصوص إبداعيّة مثقلة بحمولات الواقع المرير، وصوره المرعبة.

قسّم الباحثُ دراسته على ثلاثة فصول، رصد في الفصل الأوّل وسائل السلطة وآلياتها في تشويه الجسد، فهو هنا يُسلّطُ الضوءَ على السلطة القسريّة التي تميل إلى اتباع وسائل البطش والتنكيل وتخريب الحياة. أمّا في الفصل الثاني فقد انشغل بتصوير المكان والزمان الذي شهد بطش السلطة، وممارساتها القمعيّة؛ وذلك لأن لكلِّ حقبة زمنيّة حاكم تختلف سياساته، وولائه لبلده وأبناء شعبه من حاكم آخر، ودرجة تأثير ذلك الحاكم على الأمكنة تختلف باختلاف نسبة خطورتها وتهديدها لمصالحه، وسياساته. بينما الفصل الثالث ناقش فيه الباحث قضيّة تناص الروايات عيّنة الدراسة مع بعض المسرحيات والأفلام التي كانت نقطة الضوء لاقتباس فكرتها في تقديم نصّ إبداعيّ يجسّد الواقع المرير الذي صيّرته السياسات الخاطئة برجالاتها إلى عالم خيالي، كلّ شيء فيه يفوق الواقع، ويعجز العقل على استيعابه وتقبّله.

وبالعودة إلى عيّنات الدراسة التي هي (أموات بغداد لجمال حسين علي، وفرانكشتاين في بغداد لأحمد سعداوي، ومشرحة بغداد لبرهان شاوي)، فقد اشتركن في تقديم صورة لواقع مدينة بغداد

تحديدًا بعد عام ٢٠٠٣م؛ وذلك لوجود مساحة من الحريّة لدى المبدع تولّدت نتيجة حالة الفوضى التي أصابت البلد مما هيّأت له فرصة تصوير الواقع بعنفه، ودماره، وانعدام الحياة فيه.

يرى الباحث أنّ الجسد العراقيّ الذي مثّلته الروايات أصبح "**عرضة للموت العنيف والتمثيل من طرف الآخر المعادي، أو عرضة للتمزيق من خلال التفجيرات والسيارات الملغمة. إذ تحولت بغداد عبر استمرار هذا النمط من الموت العنيف إلى مشرحة كبيرة تنتشر فيها جثث الضحايا في كل مكان**"[٣٨]. هذا هو واقع العراق ما بعد ٢٠٠٣م الذي تحوّل إلى ساحة تُعرض فيها جثث القتلى، إذ لا نجدُ بصيص أمل يعيد الثقة بعودة الحياة الطبيعيّة، واستنشاق هواء نقي بدل الهواء المنبعث من رائحة البارود والسيارات الملغمة.

وبالانتقال إلى الفصل الثاني من دراسة الباحث، الذي خصّصه لدراسة الفضاء السرديّ المثقل بمشاهد العنف، فإنّ الباحث قد اختار ثلاث روايات تُشير في عنوانها إشارة صريحة للمكان بغداد، وهي (أموات بغداد، وفرانكشتاين في بغداد، ومشرحة بغداد)، فكان على الباحث أن يقدّم مسوّغات دراسته لتلك الروايات تحديدًا، وأن يخرج بنتائج تخدم غايته من ذلك الانتقاء بدل الاكتفاء بإشارات متفرّقة عند حديثه عن كلِّ رواية، ومسوّغ وجود لفظة بغداد في عنوانها، من ذلك ما قاله عن رواية فرانكشتاين في بغداد: "**فهي لا تختلف عن سابقتها في اختيارها للعاصمة بغداد لتجسيد ثيمة العنف الذي حلّ في البلاد بعد التغيير، وفي حضور مكان (بغداد) في عنوان الرواية**"[٣٩]. مثل هذه الدلالات الغنيّة في سياقها يبدو أنّها قد غابت عن وعي الباحث؛ لأنّه لم يفرد لها فقرة لا في خاتمة الفصل، ولا في خاتمة الدراسة بمجملها، ويمكن التأكّد من الأمثلة الدالّة على قولنا في صفحات دراسته[٤٠]

لم يكن ما ذكرنا هو العيّنات الوحيدة، للدّراسات النّقديّة موضع البحث، فهنالك دراستان أيضًا رصدتا تمثّلات السلطة، وأثرها على الفرد عامّة والمثقّف خاصّة في منجزات الروائيّ فؤاد التكرلي. كانت الدراسة الأولى للباحث محمد عبد الحسين هويدي الموسومة بـ (تمثّلات السلطة ومرجعياتها الثقافيّة في روايات فؤاد التكرلي، والدراسة الثانية قدمتها الباحثة الاء قحطان عبد الرحمن الموسومة بـ (صورة المثقّف في روايات فؤاد التكرلي).

وعند تتبّع دراسة الباحث -محمد هويدي- لرصد أشكال السلطة التي تجلّت في روايات التكرلي، نجده خصّص الفصل الثاني من كتابه لدراسة الآخر وعلاقته بالسلطة، فجاء عنوان فصله (الآخر والسلطة وتمثلهما السردي)، ودرس فيه أصناف الآخر التي تراوحت بين (الآخر المجتمعيّ، والآخر العائليّ، والآخر الجنسيّ (الأنثويّ)، والآخر السياسيّ، والآخر الاقتصاديّ، والآخر الدينيّ)، وما يدخل في سياق دراستنا هو الآخر السياسيّ.

سعى الباحث إلى تسليط الضوء على الآخر السياسيّ، وأثره في شخصيّات عالم التكرلي الروائيّ وبناء أحداثه، ولكنّ الباحثَ لم يُوفّق في إدراج روايتي (بصقة في وجه الحياة، والوجه الآخر) ضمن الروايات التي سعى عن طريقها إلى إيضاح أثر السلطة السياسيّة؛ وذلك لأنّ الروايتين لم تنشغلا برصد الواقع السياسيّ، وهذا ما قاد الباحث إلى عدم التوفيق في تقديم نصوص روائيّة

مقتبسة من الروايتين تؤكد صدق فرضياته. وهذا الإخفاق يمكن للقارئ أن يجده في بعض صفحات الدراسة[٤١]. هذا من جانب، ومن جانبٍ آخر لم نجد مسوّغًا وراء تقديم روايتي (بصقة في وجه الحياة، والوجه الآخر) على الروايات الأخرى التي سبقتها في الظهور*، وهو تقديم سار عليه الباحث في مجمل فصول دراسته[٤٢].

وهذا التقديم نفسه وجدناه في دراسة الباحثة الاء قحطان في كتابها (صورة المثقّف في روايات فؤاد التكرلي)، التي قيّدت نفسها به من دون وجود مسوّغ لذلك[٤٣].

انشغلت الباحثة باستجلاء صور المثقّف في إبداع التكرلي الروائيّ، فجاءت دراستها موزّعة على بابين: خصّت بالباب الأوّل دراسة (المهيمنات والاتجاهات الفكريّة)، فقسّمته على مباحث ثلاثة، جعلت المبحث الأوّل من نصيب الواقعيّة وأثرها في المثقّف، والمبحث الثاني للوجوديّة وأثرها في المثقّف، والمبحث الثالث للفرويديّة وأثرها في المثقّف. أمّا الباب الثاني فجعلته في مباحث ثلاثة أيضًا، قصرت المبحث الأوّل على المثقّف وموقفه من التراث، والثاني للمثقّف وموقفه من السلطة السياسيّة، والثالث للمثقّف وموقفه من المرأة.

وبالرجوع إلى دراسة الباحثة لمعرفة موقف المثقّف من السلطة السياسيّة، نراها قد أوقعت نفسها في إشكاليتين: الأولى تتجلّى في إدراجها ثلاث روايات لا وجود فيها لأثر السلطة، وهذه الروايات هي: (بصقة في وجه الحياة، والوجه الآخر، وخاتم الرمل). والثانية أنّها اتكأت على إدراج شخصيّات روائيّة اعتقادًا منها بأنها شخصيّات مثقّفة، في حين أنّها لا علاقة لها بالمثقّف ودوره في الحياة. على سبيل المثال نذكر شخصيّة (محي) من رواية (بصقة في وجه الحياة)[٤٤]، هذه الشخصيّة ليست مثقّفة لأنّ دورها في الرواية اقتصر على سرد معاناتها داخل الأسرة، فهو والد فتيات متحرّرات من سلطة العائلة، ولا دور للأب في تحجيم سلوكيّات بناته[٤٥]. الأمر الآخر غياب أيّ أثر للسلطة السياسيّة على تلك الشخصيّة.

الأمر ذاته ينسحب على شخصيّة (عبيد الجايجي) في رواية (الوجه الآخر)، فالمساحة التي شغلتها تلك الشخصيّة من الرواية، ودورها الهامشيّ لم يسعفاها لتكون شخصيّة مثقّفة ذات رؤى وتطلّعات تخدم واقع المجتمع الروائيّ، أو صاحبة رسالة تسعى إلى إيصالها.

وثمّة موضع ضعفٍ آخر في الدراسة، وهو أنّ النّصوص التي اقتبسها من الروايات كانت تفتقر القدرة على تدعيم الدراسة لتصل إلى ما تهدف إليه، إذ إنّ النصوص المقتبسة في وادٍ والتحليل في وادٍ آخر، ويمكن للقارئ رصد هذا بالعودة إلى الصفحات الآتية[٤٦]. وإجمالًا يمكننا القول: إنّ الباحثة قدّمت قراءة مبتسرة للنصوص، ولم تعالجها بصورة دقيقة تمكّنها من اكتشاف المثقّف الحقيقي، ودوره في المجتمع، واختلافه عن الإنسان العادي، ومسوّغات معاداة السلطة له، ومحاربته، وتلفيق التهم له لتزجّه في السجون وتحرمه من حريّته، وإخماد صوته بوساطة النفي. وهذا الجهد المبتسر ضيّع على الباحثة فرصة تقديم قراءة ثقافيّة كاشفة لطبيعة العلاقة المتوتّرة بين المثقّف والسلطة حين يُشكّل المثقّف خطرًا يُهدّد أمن السلطة، ويُعكّر صفوها عبر امتلاكه وعيًا ثقافيًّا يمكّنه أن يقود الجماهير ويحرّضها لرفض الظلم والاستبداد.

للسلطة السياسيّة أبعادٌ أخرى تتجاوز إشغال الناس بالحروب وزجّهم بها، وتغييب معارضيها في السجون ليُلاقوا حتفهم، بل شملت تلك الأبعاد تفشّي ظاهرة الدين المزيّف وسلطته الخطيرة على الناس البسطاء محدودي الوعي المعرفيّ والثقافيّ، فضلًا عن شيوع سلطة الأيديولوجيا، وسلطة الهُويّة. هذه الأبعاد رصدها الباحث غانم الزبيدي في كتابه (شوارع نيرودا)، وعدّها أشكالًا للسلطة السياسيّة أو الوجه الآخر لها، وفي هذا السياق يقول: إنّ **"استبداد السلطة السياسية، بكل أشكالها، أصل كل فساد وفاعلاً في تمزيق الإنسان العراقي وتحطيمه وتغذية آلة العنف المتوغلة في أشكال السلطة التي أحرقت الحياة وجعلتها رماداً"**(٤٧).

وفي معرض حديثه عن سلطة الدين المزيّف، يُورد الباحث مسوّغات شيوعه بعد عام ٢٠٠٣م بقوله: **"جاء النكوص عن الدين اليوم في الثقافة العربية: فكراً وأدباً؛ بسبب ردة الفعل من الثقافة الطائفية الدينية التي غلبت على المجتمع العربي من جهة، وبسبب الفهم الخاطئ للدين الذي أنتج العنف والإرهاب والإقصاء والتمزق والتخلف الذي تعيشه المجتمعات العربية من جهة أخرى"**(٤٨) هذا الفهم الخاطئ للدين، والموقف منه تجلّت صوره في الروايات العراقيّة، ومن بين الروايات التي وقف عندها الباحث هي: (حدائق الريس لمحسن الرملي، ووحدها شجرة الرمان و يا مريم لسنان أنطون، وحلم وردي فاتح اللون لميسلون هادي) كاشفًا عن مرجعياتها الثقافيّة، وموقفها من الدين.

يرى الباحث أنّ رواية (حدائق الريس) قد قدّمت موقفًا واضحًا من الدين المزيّف الذي ظهر نتيجة انهيار المنظومة السياسيّة، إذ **جسّدت الرواية ثقافة الدين المشوه المنتج للعنف في المجتمع، من خلال انتقاء شخصيات تمارس الخداع والمكر وباسم الدين"**(٤٩) هنا تتضّح رؤية الباحث، وموقفه من الدين الذي تفشّى في ظلّ انهيار القيم والثقافة، وتردّي الوضع السياسيّ والاجتماعيّ، وهي رؤية تماهت كليًّا مع رؤية الروائيّ وموقفه.

وهذا الوضوح في الرؤيتين لكلٍّ من الباحث والروائيّ قد خفتتا في رصده لسلطة الدين في الروايات الأخرى، ويمكن للقارئ التأكد من ذلك بالرجوع إلى دراسة الباحث لرواية (وحدها شجرة الرمان، وحلم وردي فاتح اللون)، ففي الرواية الأولى لم يوفّق الباحث في تقديم نصوص روائيّة تؤكد أثر الدين المزيّف في تفشّيّ ثقافة العنف والقتل(٥٠)، وكذا الحال مع الرواية الثانية(٥١) التي غلب عليها السرد الإنشائيّ مع قلّة النصوص الروائيّة الداعمة لرؤية الباحث المتجسّدة في الدراسة.

وبالعودة إلى وسائل السلطة وممارساتها القمعيّة، نجد أنّ السجن أبرزها، فهو القمع المعلن الذي تمارسه السلطة للحدِّ من حريّة الفرد الفكريّة والاجتماعيّة. هذه الوسيلة تحدّثت عنها الباحثة مسار غازي في كتابها الموسوم بـــ (الإكليروس في الرواية العراقيّة)، إذ جاء الفصل الثاني بمحاوره معنيٌّ بدراسة أشكال السلطة التي تراوحت بين (المؤسسة الأسريّة، والمؤسسة الانضباطيّة/ السجن، والتهجير والنفي، والهُويّة)، وما يعنينا هنا هو دراسة الباحثة لمؤسسة السجن؛ بوصفها أداة السلطة، فاختارت الباحثة أربع روايات لتكون عيّنات دراستها، هي (القلعة الخامسة لفاضل

العزاوي، وبعد رحيل الصمت لعبد الرضا محمد صالح، وبنادق النبي، وعين الدود لنصيف فلك). صوّرت رواية (القلعة الخامسة) معاناة بطلها الذي **"يلقى القبض عليه في مقهى في بغداد من دون ذنب ويرمى به في قلعة للسجناء السياسيين وهي القلعة الخامسة التي كانت تقع في قلب مدينة بغداد، فيكون شاهداً على بطش السلطة الفاشية"**(٥٢). فعن طريق هذه الشخصيّة، ومعاناتها الناتجة من بطش السلطة وتنكيلها بالناس، ولا سيما المثقّفين منهم، تجلّت لنا بوضوح طبيعة السلطة الحاكمة في تلك الحقبة، وممارساتها الوحشيّة، وجرائمها ضد الإنسان والإنسانيّة. أمّا رواية (بعد رحيل الصمت) فإنّ الباحثة تراها قد كشفت **"النقاب عن أبرز صور الاستبداد والقمع والاستلاب والتشيؤ في أقبية التعذيب اللاإنسانية القاتمة بحق الإنسان العراقي بسبب انتماءاته العقدية"**(٥٣). هذا يعني أنّ السلطة السياسيّة تُدرك مقدار الأثر الذي يتركه الدين ورجالاته على عامّة الناس.لكن السجن في رواية (بنادق النبي) صيّرته السلطة السياسيّة مدرسة لتخريج منظّمات إرهابيّة خاضعة لأيديولوجيّتها، ومعتنقة لأفكارها، مؤمنة بفكر أُحادي يتماهى مع غايات السلطة وأهدافها، وفي هذا الصدد تقول الباحثة: **"فعندما يخضع السجن إلى سيطرة قوة أخرى ذات آيديولوجيا نفعية فإنه يتحول إلى ثكنة قمعية للآخر المختلف سياسيًا وفكريًا [وعقديًا]"**(٥٤). هذه الأيديولوجيا المفروضة على السجين في السجون التابعة للسلطة تجلّت آثارها بوضوح على السجناء في السجون التابعة لإيران أعقاب الحرب العراقيّة- الإيرانيّة، وهذا ما وجدته الباحثة مهيمنًا على رواية (عين الدود) للروائيّ نصيف فلك، إذ قالت بشأنها: إنّها **"حاولت تمثيل العنف ثقافيا بوصفه قيما تشكلت وأسسا اجتماعية اهتزت، ولكن هذا التمثيل سيطرت عليه آيديولوجية الكاتب التي تمثل عقدة من الدين لارتباطه بالسلطة"**(٥٥). فالباحثة ترى في رؤية الروائيّ، وموقفه المتمثّل برفضه للدين الخاضع لأيديولوجيا السلطة، وتشرّبه بأفكارها مسوّغات لتقديم رؤيته بتلك اللغة المشحونة بالسباب، وقلة الذوق، وانحطاط اللغة تماهيًا مع انحطاط الواقع الاجتماعيّ والثقافيّ والدينيّ في ظلِّ أنظمة حكم استبداديّة تتعامل مع الدين تعاملًا يخدم مصالحها.

وفي ضوء المعطيات السابقة يمكننا القول: إنّ دراسة الباحثة لأثر السلطة في أربع روايات اشتركت جميعها في التأكيد على واحد من أساليب السلطة المتمثّلة بالسجن. وعلى ما يبدو أنّ تركيز الباحثة على تلك الوسيلة القمعيّة دون غيرها من الوسائل والممارسات، هو تأثيرها الكبير على مصائر الناس في تلك الحقبة الزمنيّة، وبوصفها الوسيلة الأكثر شيوعًا لدى السلطة، إذ مارست السلطة أبشع جرائمها في السجون، هذا فضلًا عن الآثار النفسيّة والجسديّة التي تصيب السجين في حال لو قُدّر له الخروج من السجن، إذ يظلّ يُعاني من تبعات تلك الممارسات مدّة طويلة.

وعليه فقد أجادت الباحثة في انتقاء العيّنات الروائيّة التي كشفت بوضوح عن تلك الممارسات، وتماهت مع رؤية الروائيين في النظرة إلى السلطة والموقف منها، وهي رؤية رافضة للسلطة.

انفردت دراسة الباحث سمير الخليل الموسومة بـ (الرواية سرداً ثقافياً)، بالوقوف على واحدة من الروايات العراقيّة التي تناولت حقبة حكم الملك فيصل الثاني وعائلته المالكة، وما جرى لهم من

وقائع عسكريّة وانقلابات دمويّة ولّدت ما يُعرف بثقافة العنف، وتلك الرواية هي (الملك في بيجامته) لخضير فليح الزيدي، التي حاول الباحث من دراسته لها استكناه الأنساق الثقافيّة المتغلغلة في عمق التاريخ العراقي المعاصر.

وعند تتبّعنا دراسة الباحث لتلك الرواية الغنيّة بالمرويات التاريخيّة التي قدّمت وثيقة مهمّة لوقائع جرت في تاريخ العراق، التي على إثرها غيّرت نظام الحكم من ملكي إلى جمهوري، فإنّ دراسته لها تكاد تخلو من التحليل النّقديّ، واكتفت بإيراد نصوص مقتبسة من الرواية، ويمكن للقارئ العودة إلى صفحات الدراسة[٥٦]. بمعنى أنّ المرجعيات الثقافيّة التي نظر من خلالها الباحث سمير الخليل إلى الرواية كانت ذات نزوع وصفي للأحداث التاريخيّة التي نهضت عليها الرواية، ولم يتمكّن من سبر أغوار النصّ بالشكلِ الذي يعيد إنتاج التاريخ تأويليًّا بما يكشف عن تسييسه وأدلجته. فالنسق السياسيّ الظاهر الذي عبّر عنه الروائيّ صراحة، والمتمثّل في الحديث عن اغتيال العائلة المالكة، قد أشار إليه الباحث ونقله من دون تعليق نقديّ عليه يُبيّن المخفي والمضمر وراء توظيفها في المتن الروائيّ.

الخاتمة

اقتصرت دراستنا هذه على أحد عشر كتاب قدّمت دراسات نقديّة لنصوص روائيّة رصدت الواقع السياسيّ للمجتمع العراقيّ، منها ما جاء عنوانه حاملًا للفظة (السلطة) تصريحًا، ومنها من حمل بين طيّاته حديثًا عنها، وبعض تلك الدّراسات كانت مُخفقة في تقديم نصوص نقديّة تستجلي واقع السلطة السياسيّة في الحقب المشار إليها في المتون الروائيّة، بخلاف البعض الآخر الذي نجح في توصيل رسالته النّقديّة.

وما يُلاحظ على مجمل تلك الدراسات النّقديّة أنّها رصدت شكلًا واحدًا من أشكال السلطة، ألا وهو السلطة القسريّة القائمة على مبدأ العنف، والإكراه، والقسوة، أو هي التسلّط بمعناه الواسع. هذا يعني أنّ المدّة التاريخيّة التي وثّقتها الروايات، ووقفت عندها الدراسات النّقديّة الثقافيّة تنعدم فيها مظاهر السلطة السياسيّة

القائمة على إدارة البلد، والنهوض بواقعه، وبناء مجتمع متماسك، ليحلّ محلّه التسلّط، والفوضى والانهيارات المتلاحقة.

---

(١) مدخل إلى علم السياسة، جان مينو، تر: جورج يونس، منشورات عويدات– بيروت، ط٢،١٩٨٢م: ٨٨. نقلًا عن ميشال فوكو المعرفة والسلطة، تر: عبد العزيز العيادي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٤م: ٤٤.

* عالم سياسة فرنسي (١٩١٧– ٢٠١٤) ومحامٍ واستاذ قانون، متخصص في القانون الدستوري.

(٢) يُنظر: السلطة السياسية في نظرية الدولة، د. ماهر عبد الهادي، دار النهضة العربية، ط٢، ١٩٨٤م: ٣٩.

(٣) يُنظر: بانوراما نفسية، د قاسم حسين صالح، دار الشؤون الثقافية العامة– بغداد، ط١، ٢٠٠٥م: ١٠٥– ١٠٨، ويُنظر: الطاغية، إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الوطني للثقافة– الكويت، ط١، ١٩٩٤م: ١٦.

(٤) يُنظر: سيكولوجية السلطة بحث في الخصائص النفسية المشتركة للسلطة، سالم القمودي، مكتبة مدبولي– القاهرة، ط١، ١٩٩٩م: ٦٥.

(٥) يُنظر: علم الاجتماع السياسي أسسه وأبعاده، صادق الأسود، مطابع وزارة التعليم العراقية– بغداد، ١٩٩٠م: ١٦٣.

(٦) يُنظر: ميشال فوكو المعرفة والسلطة، تر: عبد العزيز العيادي: ٦٢.

*سياسي أمريكي (١٩٠٨– ٢٠٠٦) وهو اقتصادي أمريكي كندي ومسؤول عام ودبلوماسي، وعضوًا في هيأة التدريس بجامعة هارفارد لمدة طويلة.

(٧) يُنظر: سيكولوجية السلطة، سالم القمودي: ٣٩– ٤٣.

(٨) يُنظر: السلطة السياسية: جان وليام لابيار، تر: إلياس حنا إلياس، منشورات عويدات، بيروت– لبنان، ١٩٧٧م: ٥٠.

(٩) يُنظر: مبادئ القانون الدستوري والنظام الدستوري في العراق، د. محمد طه حسين الحسيني، مكتبة دار السلام القانونية الجامعة، العراق_ النجف، ٢٠١٦م: ٢٧– ٢٨.

(١٠) الخطاب الروائي النسوي العراقي، محمد رضا الأوسي: ١٥.

(١١) م. ن: ١٥.

(١٢) م. ن: الصفحة نفسها

(١٣) م. ن: ٢٠١.

(١٤) م. ن: ٢٠٤.

(١٥) م. ن: ٢٢٠.

(١٦) يُنظر: السلطة في الرواية العراقية، د. أحمد رشيد الددة، دار الشؤون الثقافية العامة– بغداد، ط١، ٢٠١٣م: من (٤٨– ٨٦).

(١٧) يُنظر: م. ن: ٥٦ و٥٨ و٨٦.

(١٨) يُنظر: م. ن: ٨٨ و٨٩ و٩٥ و٩٦و ١٠٨.

(١٩) م. ن: ١٧٧.

(٢٠) م. ن: ١٨١.

(٢١) م. ن: ١٨٢.

(٢٢) م. ن: ١٨٤.

(٢٣) م. ن: ١٩٥.

(٢٤) م. ن: ٢٠٠، و٢٠١.

(٢٥) الرواية العراقية من منظور النّقد الثقافي، حبيب النورس: ١٣٧.

(٢٦) يُنظر: م. ن: من ١٣٧ إلى ١٤٧.

(٢٧) الإنتلجينسيا العراقية في عالم علي بدر الروائي، محمد فاضل المشلب: ٥٨.

(٢٨) م. ن: ٥٩.

(٢٩) م. ن: ٦١– ٦٢.

(٣٠) م. ن: ٦٣.

(٣١) م. ن: ٧٠.

(٣٢) تمثلات الموت في العراقية: فارس نايف الفايز: ١٨.

(٣٣) م. ن: ٢١.

(٣٤) يُنظر: م.: من ص٢٧ إلى ٣٢.

(٣٥) يُنظر: م. ن: ٣٥.

(٣٦) م. : ٣٦.

(٣٧) م. ن: ٣٨.

(٣٨) رواية العنف دراسة سوسيونصية في الرواية العراقية ما بعد ٢٠٠٣، د. باسم صالح، دار الشؤون الثقافية العامة– بغداد، ط١، ٢٠١٧م: ٣٧.

(٣٩) م. ن: ٧٨.

(٤٠) يُنظر: م. ن: ٨٩، و١١٧– ١١٩.

(٤١) يُنظر: تمثلات السلطة ومرجعياتها الثقافية في روايات فؤاد التكرلي، د. محمد عبد الحسين هويدي: ١٥٧– ١٥٨.

*يمكن ملاحظة ذلك بتتبّع تواريخ طباعة كل رواية، الوجه الآخر ١٩٦٠، والرجع البعيد ١٩٨٠، وخاتم الرمل ١٩٩٥، والمسرات والأوجاع ١٩٩٨، وبصقة في وجه الحياة ٢٠٠٠

(٤٢) يُنظر على سبيل المثال الفصل الثاني بمباحثه جميعها التي تبدأ من ص ٤٩إلى ٩٦، والفصل الثالث بمباحثه أيضًا من ص١٠٨ إلى ٢٠٦، والفصل الرابع من ص٢١٦ إلى ٣٠٣. تمثلات السلطة ومرجعياتها الثقافية في روايات فؤاد التكرلي، د. محمد عبد الحسين هويدي.

(٤٣) يُنظر: الفصل الأوّل من كتابها ص٤٧ إلى ٦٢، والفصل الثاني ص١٤٣ إلى ١٥٤.

(٤٤) يُنظر: صورة المثقف في روايات فؤاد التكرلي، الاء قحطان عبد الرحمن: ١٧٤.

(٤٥) يُنظر: بصقة في وجه الحياة، فؤاد التكرلي، منشورات الجمل، ٢٠٠٠م: ٥٧.

(٤٦) يُنظر: صورة المثقف في روايات فؤاد التكرلي، الاء قحطان عبد الرحمن: من ص ١٧٥إلى ١٨٠.

(٤٧) شوارع نيرودا استراتيجيات الرواية العراقية بعد ٢٠٠٣ أشكال السلطة وصور المثقف، د. غانم حميد الزبيدي: ١٥٢.

(٤٨) م. ن: ١٥٦– ١٥٧.

(٤٩) م. ن: ١٦٢.

(٥٠) يُنظر: م. ن: ١٦٦– ١٦٧.

(٥١) يُنظر: م. ن: من ١٧٧ إلى ١٧٥.

(٥٢) الإكليروس في الرواية العراقية، د. مسار غازي: ١٢٩.

(٥٣) م. ن: ١٣٢.

(٥٤) م. ن: ١٣٥- ١٣٦.

(٥٥) م. ن: ١٣٩.

(٥٦) يُنظر: الرواية سرداً ثقافياً سسيولوجيا الثقافة وأرخنتها وتسييسها، د. سمير الخليل: ١٤٧ و١٤٩ و١٥٣و ١٥٥و ١٥٦و ١٥٧و ١٦١و ١٦٢و ١٦٣و ١٦٤.

قائمة المصادر والمراجع

*الإكليروس في الرواية العراقية، د. مسار غازي، دار ومكتبة سامراء للنشر والتوزيع- سامراء، ٢٠٢٠م.

*الإنتلجينسيا العراقية في عالم عليّ بدر الرّوائي دراسة في الرُؤى والتمثّلات، محمد فاضل المشلب، دار الرافدين- بيروت، ودار وراقون للنشر والتوزيع- العراق، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.

*بانوراما نفسية، د قاسم حسين صالح، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

*تمثّلات السلطة ومرجعياتها الثقافية في روايات فؤاد التكرلي، د. محمد عبد الحسين هويدي، دار شهريار- البصرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م.

*تمثّلات الموت في الرواية العراقية ٢٠٠٣- ٢٠١٤، فارس نايف الفايز، دار الرافدين- بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.

*الخطاب الروائي النسوي العراقي (دراسة في التمثيل السردي)، محمد رضا الأوسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

*الرواية العراقية من منظور النقد الثقافي دراسة في تحولات الانساق الثقافية، حبيب النورس، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

*رواية العنف دراسة سوسيونصية في الرواية العراقية ما بعد ٢٠٠٣، د. باسم صالح، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.

*الرواية سرداً ثقافياً سسيولوجيا الثقافة وأرخنتها وتسييسها، د. سمير الخليل، دار الرافدين- بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠م.

*السلطة السياسية في نظرية الدولة، د. ماهر عبد الهادي، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.

*السلطة السياسية: جان وليام لابيار، ترجمة: إلياس حنا إلياس، منشورات عويدات، بيروت- لبنان، ١٩٧٧م.

*السلطة في الرواية العراقية، د. أحمد رشيد الددة، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.

*سيكولوجية السلطة بحث في الخصائص النفسية المشتركة للسلطة، سالم القمودي، مكتبة مدبولي- القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

*شوارع نيرودا استراتيجيات الرواية العراقية بعد ٢٠٠٣ أشكال السلطة وصور المثقف، د. غانم حميد الزبيدي، دار أمل الجديدة، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.

*صورة المثقف في روايات فؤاد التكرلي، الاء قحطان عبد الرحمن، دار غيداء للنشر والتوزيع- عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.

*الطاغية، إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الوطني للثقافة- الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

*علم الاجتماع السياسي أسسه وأبعاده، صادق الأسود، مطابع وزارة التعليم العراقية- بغداد، ١٩٩٠م.

*مبادئ القانون الدستوري والنظام الدستوري في العراق، د. محمد طه حسين الحسيني، مكتبة دار السلام القانونية الجامعة، العراق_ النجف، ٢٠١٦م.

*ميشال فوكو المعرفة والسلطة، ترجمة: عبد العزيز العيادي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

*نقد العقل الغربي "الحداثة ما بعد الحداثة"، مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي- بيروت، د. ط، ١٩٩٠م.